

7-1-2020

Slaves in Algiers: the United States of America's Prisoners in Algiers 1785-1797

Khaled Abdullah Al-Batini
Lecturer - College of Arts - Kuwait University

Follow this and additional works at: <https://jfa.cu.edu.eg/journal>

Recommended Citation

Al-Batini, Khaled Abdullah (2020) "Slaves in Algiers: the United States of America's Prisoners in Algiers 1785-1797," *Journal of the Faculty of Arts (JFA)*: Vol. 80: Iss. 3, Article 11.

DOI: 10.21608/jarts.2020.115335

Available at: <https://jfa.cu.edu.eg/journal/vol80/iss3/11>

This Original Study is brought to you for free and open access by Journal of the Faculty of Arts (JFA). It has been accepted for inclusion in Journal of the Faculty of Arts (JFA) by an authorized editor of Journal of the Faculty of Arts (JFA).

عبيد في الجزائر: أسرى الولايات المتحدة الأمريكية في الجزائر

(*) ١٧٩٧-١٧٨٥

د. خالد الباطنى

جامعة الكويت

الملخص

شهدت منطقة المتوسط في الفترة الممتدة من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر حربا بين دول شمال أفريقيا والدول الأوروبية. وانخرطت القوى الأوروبية والقوى الشمال أفريقية بالهجوم على سفن بعضهم البعض يأسرون البحارة ويطالبون بأموال لفك أسراهم. حرصت الدول الأوروبية على دفع أموال لدول شمال أفريقيا حتى تتمكن السفن التجارية من الإبحار بسلام في منطقة المتوسط. في أواخر القرن الثامن عشر بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بدخول منطقة المتوسط كدولة جديدة وناشئة. أرادت الولايات المتحدة بناء اقتصادها واستئناف علاقتها التجارية مع موانئ المتوسط. لكن بدأت سفن قراصنة شمال أفريقيا بالإغارة على السفن التجارية الأمريكية كون الولايات المتحدة لا ترتبط بأي معاهدة مع أي من دول شمال أفريقيا. ففي عام ١٧٨٥ تمكن قراصنة الجزائر من القبض على سفينتين تابعتين للولايات المتحدة وأسر جميع أفراد طقميهما. وتكرر الأمر في عام ١٧٩٣ حين أسر قراصنة الجزائر ١٠ سفن و ١١٠ بحارين أمريكيين. خلال الفترة الممتدة من عام ١٧٨٣ إلى عام ١٧٩٦ تكبدت تجارة الولايات المتحدة في المتوسط خسائر فادحة ووقع في أسر الجزائر ما يقارب ١٢٠ أسيرا أمريكيا. نجم عن هذه الأحداث سخط شعبي داخل الولايات المتحدة على القراصنة الجزائريين وفي الوقت نفسه على الحكومة الأمريكية التي لم تتصرف بشكل جيد مع هذه الأزمة. من هذا المنطلق، يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على تجربة الأسرى الامريكان في الجزائر ومحاولة فهم محنة الأسر على المستوى الشخصي للأسرى. وفي الوقت نفسه يحاول هذا البحث أن يدرس انعكاس محنة الأسر على المجتمع

(*) مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٨٠) العدد (٥) يوليه ٢٠٢٠

الأمريكي حيث أمضى بعض الأسرى ما يقارب ١٠ سنوات وبعضهم ٤ سنوات. خلال هذه الفترة عمل الأسرى الأمريكيان في الجزائر في مهن شاقة ومتعبة ومهينة ومرتبطة بالعبودية أودت بحياة مجموعة منهم. في الوقت نفسه كانت الحكومة الأمريكية عاجزة عن الوصول إلى حل مع الجزائر مما أدى إلى تنذر وتدخل شعبي أمريكي لوضع حلول لمشكلة الأسرى في الجزائر.

Slaves in Algiers: the United States of America's Prisoners in Algiers 1785-1797

Throughout the 15 century and 18 centuries the Mediterranean witnessed a vicious conflict between the North African States and the European powers. The North African States and the Europeans captured each other's ships and enslaved the crews aboard. Therefore, the European powers mollified the North African States with annual tribute so they leave their ships pass in peace. In late 18 century the United States of America got independence and resumed its trade in the Mediterranean. Consequently, the American vessels became a target for the North African corsairs, specially Algerians corsairs because there were not any kind of treaties between the U.S. and the North Africans. In 1785 the Algerian corsairs seized two American ships and captured the crewmen. Once again in 1793 the Algerian managed to abduct 10 trade ships and captured 120 men. More than 10 years the American tread ships suffered from the North African corsairs. Meanwhile, the American captives suffered 10 year enslavement in Algiers and the U.S. government lacked a solution for the problem. This situation raise a public criticism for the government and generated a public respond. This research aims to shed a light on the American captives experience in Algiers on a personal level and at the same time this research try to understand the American public respond to the captives issue.

المقدمة

شهد البحر الأبيض المتوسط من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر صراعًا محتدمًا بين الدول الأوروبية والولايات العثمانية في شمال أفريقيا ومملكة المغرب حول التجارة والملاحة وبسط النفوذ، حيث انخرطت الأطراف المتصارعة في الإغارة على سفن بعضها البعض وأسر الركاب والطواقم

واستعبادهم. وخلال هذه الفترة وقع العديد من الأوربيين في أسر ولايات شمال أفريقيا قدر عددهم بمليون أسير بين عامي ١٥٣٠ و ١٧٨٠ وشكل أسرى الولايات المتحدة الأمريكية نسبة قليلة جدًا مقارنة بعدد الأسرى الأوربيين، ذلك أن الولايات المتحدة لم تتخرط في تجارة المتوسط كدولة مستقلة إلا في وقت متأخر وتحديداً في أواخر القرن الثامن عشر. وخلال العقود المنصرمة استطاعت الدول الأوربية في معظم الأحيان حماية سفنها من هجمات دول شمال أفريقيا عن طريق معاهدات وأموال قُدِّمت لها بشكل دوري. على سبيل المثال، تمكنت بريطانيا من تأمين سفنها وسفن مستعمراتها، ولا سيما تلك القادمة من القارة الأمريكية، من خلال معاهدات مع دول شمال إفريقيا. لكن بعد أن أعلنت المستعمرات البريطانية في أمريكا استقلالها، وأطلقت على نفسها اسم الولايات المتحدة الأمريكية، صارت سفنها المبحرة في المتوسط لقمة سائغة لسفن دول شمال إفريقيا. لم يكن بمقدور الولايات المتحدة حماية سفنها لعدم امتلاكها قوة بحرية، وكانت عاجزة أيضاً عن دفع الأموال لدول شمال إفريقيا، والتي يمكن أن تؤمن مرور سفنها بسلام^(١). في عام ١٧٨٤ وقع أول هجوم على سفينة أمريكية تجارية في المتوسط حين تمكن القراصنة المغاربة من أسر السفينة بتسي Betsy، فحلت الولايات المتحدة الأمريكية المشكلة بوساطة إسبانية، لكنها تعهدت بعقد معاهدة تجارية مع المغرب على أن يتم إطلاق سراح السفينة بعد أشهر من أسرها. لكن المشكلة الأكبر كانت مع الجزائر، ففي عام ١٧٨٥ أغار القراصنة الجزائريون على سفينتين تجاريتين تابعتين للولايات المتحدة وأسروا حوالي ١٢ مواطناً أمريكياً رزحوا في الأسر مدة عشر سنوات. لم تكف الجزائر بهذا، بل ظلت تهدد السفن الأمريكية لما يقارب العشر سنوات. وفي الواقع، ارتفع عدد الأسرى الأمريكان إلى ١٢٨ أسيراً، إذ تمكن القراصنة الجزائريون في عام ١٧٩٣ من القبض على ١٠ سفن أمريكية أخرى وأسر ١١٠ بحارين. تراوحت فترة أسر الأمريكان ما بين ٤ و ١٠ سنوات واجهوا خلالها العديد من الصعوبات لتشكل محنة الأسر تحدياً على مستويات ثلاثة،

الشخصي للأسرى، والرسمي للحكومة، والشعبي، خالقةً بذلك تأثيرًا شعبيًا أطلق العنان لرد فعل لامس المجتمع الأمريكي.

يحاول هذا البحث الإجابة عن تساؤلات عدة ظلت أجوبتها قابعة في طيات الوثائق. كيف كانت تجربة الأسرى الأمريكيان في الجزائر حيث عاشوا مدة طويلة في مجتمع مختلف مع وجود صورة نمطية مسبقة عن المجتمع الشمال أفريقي لدى بعضهم؟ هل كان لهذه المحنة انعكاس على المجتمع الأمريكي؟ وما مدى تأثيرها عليه؟ وكيف تعاملت الحكومة والشعب الأمريكي مع قضية الأسر والأسرى على المستويين المحلي والدولي؟ ركزت الدراسات العربية المتعلقة بهذا الموضوع على مسألة الأسرى الأوربيين، ومن أهمها، على سبيل المثال، أطروحة الدكتوراه لقرياش بلقاسم من جامعة مصطفى اسطمبولي -معسكر-، وعنوانها (الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات ١٦٧١-١٨٣٠). وقد سلطت الضوء على تجربة الأسر بشكل جمعي وتراكمي من خلال رصد عينات من قصص الكثير من الأوربيين وخلق فهم لواقع التجربة. ونذكر أيضًا دراسة أخرى للمؤلف ذاته، قرياش بلقاسم، بعنوان (بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني ١٥١٩-١٨٣٠) تناول فيها البانياوات، أي السجون الجزائرية التي احتجز فيها الأسرى الأوربيون، فدرس دور هذه السجون وطبيعتها وتطورها خلال فترة زمنية طويلة. في المقابل، ركزت الدراسات الأجنبية على طبيعة الأسر أو العبودية، فأطلقت على الأسرى مصطلح Slaves (عبيد)، وأحيانًا Captives (السجناء، الحبيسون)، وبينت الفرق بين العبودية الأمريكية المرتبطة بالأفارقة السود وعملهم في الزراعة والعبودية في شمال أفريقيا. ومن هذه الدراسات كتاب كرستن سيرس Christine E. Sears المعنون: (American Slaves and African Masters) تحت عنوان H.G.Barnby، تحت عنوان The Prisoners of Algiers an Account of the Forgiven American-Algerian War 1785-1797، فيركز على الأسرى

الأمريكان في الجزائر وطريقة وقوعهم في الأسر، لينتقل بعدها إلى العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين والمساوي التي بذلها الدبلوماسيون لإطلاق سراح الأسرى. ومن الكتب المهمة في هذا المجال أيضًا كتاب لورنس بسكنز Lawrence A. Peskins المعنون Captives and Countrymen Barbary Slavery and the American Public, 1785-1816، والذي ركز فيه على أعداد الأسرى الأمريكيين في دول شمال أفريقيا. لقد رصد لورنس كيفية تشكل الحس الوطني عند الأسرى الأمريكيين بالتزامن مع تطور المفهوم نفسه داخل الولايات. أما دراستنا هذه، فتسلط الضوء على تجربة الأسرى الأمريكيين في الجزائر تحديدًا، بين عامي ١٧٨٥ و ١٧٩٧، فتدرس طبيعة الأسر على المستوى الشخصي للأسرى ومدى تأثير هذه المحنة على المجتمع الأمريكي بشكل عام. تعتمد هذه الدراسة بشكل كبير على وثائق الحكومة الأمريكية، وهي عبارة عن مراسلات بين الأسرى والإدارة الأمريكية. ونستخدم أيضًا مذكرات بعض الأسرى الأمريكيين ورسائلهم، والصحف الأمريكية، والنتائج الثقافية الأمريكي الذي ارتبط بالأسر خلال القرن الثامن عشر، بالإضافة إلى أهم وأحدث الأبحاث العربية والأجنبية المتعلقة بالموضوع. نعتقد أن هذه الدراسة ستشكل إضافة جديدة للمكتبة العربية وتفتح المجال أمام باحثي المستقبل. ومن الأمور المهمة التي يجب توضيحها بداية هي مسألة إطلاق تسمية عبيد على الأسرى الأمريكيين. في الواقع، تصفهم العديد من الدراسات العربية والغربية تارة بالعبيد وتارة أخرى بالأسرى. لكن هذه الدراسة تستعمل مصطلح "أسرى"، فهو يعبر عن الوضع السياسي للأمريكان في الجزائر، فقد كان هؤلاء ينتظرون افتدائهم. أما مصطلح "عبيد"، فنستخدمه للدلالة على طبيعة الأعمال التي قاموا بها، والتي ارتبطت بمفهوم العبودية في الجزائر. فالأمريكان كانوا بمثابة أسرى يقومون بأعمال ذات طابع عبودي إلى أن يتم افتدائهم.

الأشهر الأولى من الأسر/العبودية

في ٢٥ يوليو لعام ١٧٨٥ تمكن القراصنة الجزائريون من أسر السفينة

الأمريكية ماريا أو ماري Maria or Mary، وأسرو أفراد طاقمها المكون من ٦ أشخاص هم: إيزاك ستيفنز Isaac Stephens قبطان السفينة، ومساعده أليكساندر فورسايد Alexander Forsyth، و أربعة بحارة، هم جيمس كاثكارت James Cathcart، جورج سمث Gorge Smith، وجون جريجوري John Gregory، وجيمس هورمت James Hormet. وفي ٣٠ يوليو لعام ١٧٨٥ أسر القراصنة الجزائريون سفينة أمريكية أخرى اسمها دوفين Dauphin بلغ عدد أفراد طقمها ٨ أشخاص، هم ريتشارد أوبراين Richard O'Brayn قبطان السفينة، ومساعده أندرو مونتقومري Andrew Montgomery، وجيكوب تيسنير Jacob Tessanier أحد الركاب الفرنسيين، والبحارة: وليام باترسون William Paterson، وفيليب سلون Philip Sloan، وبيليق لورن Pilig Lorin، وجون روبرستون John Roberston، وجيمس هول James Hall. (٢)

كانت السفينة ماريا تبحر على بعد ٣ أميال بحرية جنوب شرق البرتغال. أما السفينة دوفين فقد أُسرت قبالة سواحل لشبونة عاصمة البرتغال. وعندما أسر الجزائريون السفينة ماريا طلبوا الأوراق الرسمية، لكنهم لم يستطيعوا قراءتها، وكان العلم الأمريكي جديدًا بالنسبة لهم، ولم يكن بحوزة الأمريكان أوراق سفر أو تراخيص لعبور المتوسط، لذا اعتُبرت السفينة الأمريكية غنيمة. في البداية، لم يعرف الأمريكان كيفية التواصل مع القراصنة، لكن أحد البحارة، وهو كاثكارت، تكلم معهم بالإسبانية، فقد كان بعض القراصنة يتقنون هذه اللغة. بلغ عدد الأمريكان ٦ أشخاص، في حين بلغ عدد القراصنة ٢١ شخصًا كانوا متمرسين ومستعدين للقتال، وهكذا كان من الصعب على الأمريكان مقاومة الجزائريين. ظن البحارة الأمريكان أنهم في قبضة مملكة المغرب، لكن تيقنوا بعد مقابلة الرئيس، وهو قائد السفينة الذي كان يتقن الإسبانية، أنهم في قبضة الجزائر. كان البحارة الأمريكان آنذاك مشوشين وخائفين بسبب معلوماتهم المسبقة عن المنطقة، والتي وردتهم من البحارة الأوربيين. بدأ الرئيس بمخاطبتهم مستخدمًا تسمية "المسيحيين"، وهو لقب كان شائعًا جدًا آنذاك ويعكس طبيعة

الصراع التاريخي في المنطقة، وأبلغهم بأنه كان يوماً ما أسيراً مثلهم، وأنه سوف يعاملهم بشكل جيد. لقد قدم لهم الخبز والعسل والقهوة قائلاً: "بمجرد أن أعقد الصلح مع والدكم، ملك بريطانيا، سوف يطلق داي الجزائر سراحكم مباشرة".^(٣) لم يكن كلا الطرفين على دراية بالآخر؛ فمعلومات الأمريكان عن المنطقة جاءت من الأوربيين، حتى إنهم كانوا يطلقون على منطقة شمال أفريقيا اسم "ساحل البربر" وعلى سكانها اسم "البربر". ولم يكن الجزائريون على دراية بالولايات المتحدة كذلك، فظنوا أن البحارة تابعون للملك البريطاني، وكانت جل معلوماتهم عن أمريكا هي أنها أرض الهنود الحمر، إذ ساد اعتقاد بينهم مفاده أن الأسرى يفترض أن يكونوا من ذوي البشرة السمراء لا أن يكونوا بيضاً كالإنجليز. يعود هذا التصور لدى الجزائريين إلى بعض الخرائط التي كانت بحوزتهم، والتي تخللتها صور للسكان الأصليين لأمريكا.^(٤) أنزل القراصنة الأسرى الأمريكان إلى غرفة مظلمة وقذرة في أسفل السفينة كانت مكتظة بأسرى من دول أوروبية مختلفة. وظل الأسرى ما يقارب الشهر في البحر على هذه الحالة لأن السفينة الجزائرية كانت تطارد سفناً أخرى في عرض البحر. عانى الأسرى كثيراً خلال الفترة التي قضاها على متن السفينة قبل وصولهم إلى الجزائر، فقد كان المكان قذراً والطعام عبارة عن خل وخبز قديم مع زيت وماء رديء. كاد الأسرى يموتون جوعاً لولا تعاطف بعض القراصنة الأتراك الذين قدموا لهم الفواكه والخضراوات الطازجة. تلقى البحارة الأمريكان مساعدة من بعض القراصنة الجزائريين على متن السفينة، فنشأت بينهم علاقة، خاصة بعد أن استخدموهم في أعمال الخدمة. وعندما وصلت السفينة إلى الجزائر بعد رحلة مضنية، نُقل الأسرى الأمريكان إلى وزارة الحربية في موكب احتفالي واستعراضى وسط السوق، حيث تجمهر الناس لمشاهدتهم. وفي هذه الأثناء قُدِّم لهم الطعام والشراب، لكن القلق كان يقض مضاجعهم لعدم معرفتهم بمصيرهم، إذ كانوا يخشون أن يُباعوا في الأرياف وينتهي بهم المطاف في مكان منقطع لا يعرفه أحد، ويقضون حياتهم في العبودية.^(٥) إن جميع هذه التصورات عن

العبودية ما هي إلا انعكاس لتصورات الأمريكيان عن العبودية التي مارسوها، والتي ارتبطت بالزراعة، حيث كانوا يشتررون الأفارقة السود ويجبرونهم على العمل الزراعي الشاق مدى الحياة مفتقرين إلى أدنى درجات الحرية. لكن العبودية في الجزائر كانت أمراً مختلفاً، فالأسرى كانوا يستخدمون في مجالات عديدة للاستفادة إلى أن يتم اقتداؤهم، أضف إلى ذلك أن هؤلاء العبيد/الأسرى تمتعوا بحيز من الحرية للعمل في وقتهم الخاص وجمع المال ومزاولة تجارتهم الخاصة، والتي قد تخولهم اقتداء أنفسهم إذا جمعوا الأموال الكافية. وفي الوقت نفسه تمتعوا بحرية ممارسة شعائرهم الدينية وتناول طعامهم الخاص، حتى أن الخمر كان متاحاً لهم كما سيأتي أدناه.^(١) وهذا لا يعني أن العبودية أو الأسر في الجزائر كانت أمراً جيداً، بل كانت على درجة عالية من السوء، لكنها مختلفة عن حال العبودية في أمريكا، لذلك كانت صورة العبودية في أذهان الأسرى الأمريكيان أسوأ من الواقع الذي سوف يواجهونه في الجزائر، وبعد أيام معدودة تم أخذ الأسرى إلى سوق النخاسة (سوق العبيد) وعرضوا هناك لمدة ٣ أيام متتالية من الصباح إلى المساء. لم يُقبل الناس على شراء الأمريكيان، لذا اشتراهم الداى وأرسلوا إلى قصره.^(٧) وبعد بضعة أيام وصل ٨ أسرى آخرين، هم أفراد طاقم السفينة دوفين، فتفاجأ زملاؤهم أفراد طاقم السفينة ماري بأن القراصنة تمكنوا من أسر سفينة جديدة، ليبليغ عدد الأسرى ١٢ شخصاً. أراد الداى جعل جميع الأسرى في عهده كي يستخدمهم ورقة تفاوض مع الولايات المتحدة لتوقيع معاهدة تقدم فيها أموالاً سنوية أسوة بجميع دول أوروبا، ويكسب في الوقت نفسه مبلغاً من المال جراء اقتدائهم. لهذا السبب جرى توزيع الأسرى الأمريكيان وتوظيفهم في العديد من المهن وفقاً لمراتبهم وقدراتهم ومهاراتهم. واختار الداى ٥ منهم للعمل في القصر. فعمل واحد في مطبخ القصر واثنان في منصب رؤساء الخدم واثنان آخران في حديقة القصر. لقد عمل البحار كاتكارت في القصر، فبلغ مرتبة قريبة جداً من الداى الجزائري كما سنبين. أما بقية الأسرى، فأرسلوا إلى سجن العبيد أو سجن الأسرى المسيحيين، إذ عرف

جميع الأسرى الأوربيين باسم (العبيد المسيحيين)، وكان الأمريكان جزءاً من الأسرى المسيحيين، لذا أطلق عليهم الاسم أيضاً. لكنهم كانوا يكرهون احتسابهم مسيحيين كبقية الأوربيين، ولا سيما باعتبارات القرن الثامن عشر، فقد كانوا يمقتون بقية الأوربيين لأنهم كاثوليك فيما كان معظمهم من البروتستانت، ولم يروا فرقاً كبيراً بين الفساد الديني للمسلمين والكاثوليك. بالإضافة إلى ذلك، كان الأمريكان يرغبون دائماً في إبعاد أنفسهم عن بقية المسيحيين الكاثوليك لأن العديد من الحراس والجنود المسؤولين عن العبيد المسيحيين كانوا في أسر دول مسيحية لطالما عاملتهم بمنتهى الوحشية، فراحوا ينتقمون بأن أذاقوا الأسرى المسيحيين من الكأس نفسه. وهكذا كان الأسير الأمريكي حين يُنقل من سجن إلى آخر يبيّن للمسؤولين بأنه مختلف دينياً عن بقية الأسرى الأوربيين وبأن أمريكا لا علاقة لها بالمسلمين.^(٨) وقد كان الأمر مختلفاً بالنسبة لقادة السفن، حيث عوملوا بطريقة أفضل ومكثوا في أماكن منفصلة وجيدة.

استضافت القنصلية البريطانية ستيفنز وأوبراين، قبطاني السفينتين ماري ودوفين، لكنهما عوملا بشكل مهين كالخدم وذاقا ضروب الذل والاحتقار مع أن العرف كان يقتضي بمعاملة قبطان السفينة باحترام.^(٩) عمل أوبراين، قبطان السفينة دوفين، في حديقة القنصلية يشذب الأشجار، فيما عمل ستيفنز قبطان السفينة ماري على تنظيف القمامة في القنصلية. إن طريقة تعامل القنصل البريطاني معهما كانت نابعة من العداوة الذي سببته حرب الاستقلال الأمريكية، فمعظم الأسرى الأمريكان كانوا قبل سنوات قليلة رعايا الملك البريطاني. وفي واقع الأمر، توقع جميع الأسرى أن يعاملوا بشكل جيد من قبل البريطانيين، خاصة قبطاني السفينتين اللذين تمت استضافتهما في القنصلية. وقد أورد كاتكارت في مذكراته، وهو أحد هؤلاء الأسرى، بعد أن رأى أوبراين وستيفنز يعملان خادمين في القنصلية الآتي، "ينتمي القنصل البريطاني إلى العقيدة نفسها ويتحدث اللغة نفسها، وينحدر من الأصل نفسه لأوبراين، وكان من الممكن أن نتوقع منه شيئاً من الرحمة والإنسانية".^(١٠)

وبموجبه، بعد فترة قصيرة، وبإيعاز من الولايات المتحدة، تدخلت القنصليات الفرنسية والإسبانية والسويدية وقدمت يد العون للأسرى الأمريكيان، فاستضيف القباطنة ومساعدوهم في بيوت القنصلين الفرنسي والإسباني، وأرسل أحد الأسرى إلى القنصلية السويدية، فيما أرسلت مجموعة أخرى إلى قصر الداى. أما البقية فأرسلوا إلى الميناء للعمل في مهام صعبة وشاقة مرتبطة بالعبودية.^(١١) تدخلت الحكومة الأمريكية عن طريق أحد القناصل المقيمين في مدريد، وتمكنت عن طريق القنصلية الإسبانية في الجزائر، من تزويد الأسرى الأمريكيان بسكن خاص فقط بالقبطان ومبلغ مالي صغير جداً لجميع البحارة بالكاد يكفي لسد رمقهم. كانت العبودية في القصر جيدة بالنسبة لهؤلاء الأسرى العاملين فيه، حيث توفر الطعام والشراب والملبس. أما الذين عملوا في الميناء، فكانت حياتهم شاقة، أشبه ببؤس أبدي وعذاب مستمر. لكن هذا لا يعني أن العاملين في القصر كانوا بمنأى عن التعب والضرب والتهديد، فكثيراً ما تعرضوا للجلد، وكانت حياتهم في خطر دائم؛ لأنهم قد يلاقون حتفهم فيما لو أخطأوا.^(١٢) وبعد بضعة أشهر من الخدمة في القصر وصل مجموعة من الأسرى المسيحيين الهولنديين، وقام الداى بإخراج الأمريكيان من هناك واستبدلهم بالهولنديين، وعمّ البؤس جميع البحارة.^(١٣) لم يكن قباطنة السفن الأمريكية بمنأى عن العمل، فقد كان الداى يستدعي القبطان أوبراين ويأمره بالإبحار على متن سفن القراصنة ليستفيد من خبرته في الإبحار.^(١٤) ولأن الداى كان معجباً بأوبراين ومهارته في الإبحار وقيادته للسفن عرض عليه أن يكون أحد تابعيه ويعتق الإسلام، لكنه لم يقبل العرض.^(١٥)

وكان ثمة محاولات من قبل بعض الجزائريين لدعوة الأسرى إلى الإسلام. فالد في الإسلام كان يعطي المعتنق الجديد بعض الامتيازات، لذا اعتنقته مجموعة من الأسرى الأوربيين وتبواً بعضهم مناصب عليا في الدولة. لم تكن عملية الدعوة إلى الإسلام رسمية إنما فردية وبمبادرة من بعض العاملين في القصر أو الجنود المسؤولين عن الأسرى. وفي بعض الأحيان يصبح

الموضوع خطيرًا، فعندما يدعو الجزائري أحد الأسرى إلى الإسلام، لكنه يرفض الأمر، أو يدخل كلاهما في نقاش ومناظرة حول الإسلام والمسيحية، فإن النقاش كان يتحول إلى ضرب وبيجتماع على الأسير بقية المسلمين ويوسعونه ضربًا. وفي أحيان أخرى، يحاول بعض المسلمين الإيقاع به لدى المسؤولين. لذا تجنب الأسرى الأمريكيان هذا النوع من النقاش مخافة أن يضعهم في مشاكل هم بمنأى عنها. ولم يقتصر موضوع الدعوة الدينية على المسلمين، فثمة رجال الدين الكاثوليك أيضا الذين كانوا يحاولون تغيير مذهب الأسرى من البروتستانتية إلى الكاثوليكية. وكان لدى الإسبان مستشفى كاثوليكي يعتني بصحة الأسرى الأوروبيين، وعندما يدخله الأسرى الأمريكيان يبدأ رجال الدين بمحاولة التأثير عليهم وتغيير معتقداتهم الدينية وإغرائهم بالأموال ومنحهم امتيازات تمكنهم من التخلص من بعض أعباء العبودية. وكما أسلفنا القول، بعد أن فُرز الأسرى الأمريكيان تم إرسال مجموعة منهم إلى سجون العبيد المسيحيين، ثم ما لبثوا أن أرسلوا جميعًا إلى السجن مع وصول الأسرى الهولنديين. وقد عرف سجن العبيد باسم (باقينيو) Bagnio، وهو عبارة عن مبنى مكون من ثلاثة طوابق جميعها مكتظة وغير نظيفة وخالية من النوافذ. وكان يوجد في الجزائر ثلاثة سجون رئيسية. وُضع أحد الأسرى الأمريكيان في الباقينيو الأول الذي عرف باسم "بيليكوي" Beylique، وضم طابقه السفلي حانة لتقديم الخمر، فيما ضم باقي المبنى أماكن للنوم غير مرتبة، وكان جميع نزلائه من العبيد الأوروبيين الذين ينتظرون افتدائهم ويقومون بأعمال شاقة طوال اليوم. أما الباقينيو الثاني، واسمه "قاليرا" Gallera، فقد وضع فيه عدد من الأسرى الأمريكيان، وكان يحتوي على طابقين، يضم السفلي منهما مجموعة من الأسود والنمور التي تسببت بمقتل مجموعة من العبيد. وعرف الباقينيو الثالث باسم "سيدي حمودة"، وهو أصغر السجون وأكثرها سوءًا، حيث وضع فيه عدد من الأمريكيان. ^(١٦) وكان هناك بعض فرص العمل للأسرى حولتهم الكسب وجني الأموال. فمن الممكن أن يعمل الأسير في أي حرفة مناسبة له أو يشتري

البضائع ويقوم ببيعها. ومن المهن التي زاولها العبيد أيضاً بيع الخمر في الحانات الخاصة بالأسرى، والتي كان يحق للأسير امتلاكها، وهو ما سيحصل مع بعض الأسرى الأمريكيان. وهكذا مرّت الأشهر الأولى من الأسر، فحاول فيها الأسرى الأمريكيان التأقلم قدر الإمكان مع الظروف الجديدة التي واجهوها، لكن ما لبث أن بدأ التساؤل عن مصيرهم وطول مدة الأسر. في الواقع، وصلت أخبار هؤلاء الأسرى للصحف الأمريكية تقريباً بعد أربعة أشهر من القبض عليهم. وفي نوفمبر لعام ١٧٨٥ نشرت العديد من الصحف، مثل the Hartford Courant و Pennsylvania Packet و Freeman's Journal و the Pennsylvania Gazette، ولا سيما في عاصمة الولايات المتحدة فيلادلفيا، رسالة من أوبراين وستيفنز تذكر أنهما مواطنان أمريكيان وقعا في قبضة الجزائر، ووضعهما سيئ للغاية، وأن على الحكومة الأمريكية الإسراع في إخراجهما. ^(١٧) وتجددت آمال الأسرى بعد أن سمعوا بقدوم المفاوض الأمريكي للجزائر، والذي كان من المفترض أن يحررهم.

مساعي الحكومة الأمريكية لتحرير الأسرى

بعد ٨ أشهر من الأسر، تحديداً في مارس ١٧٨٦، أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية السيد لامب، وهو تاجر بغال له تجارة مع منطقة المتوسط، ليفاوض الداى الجزائري حول إطلاق سراح الأسرى الأمريكيان. ولم يكن لامب صاحب خبرة دبلوماسية، وهذا ما اكتشفه الداى في أول مقابلة معه، فراح يماطل ويتلاعب به. في البداية، لم يحدد الداى المبلغ الذي يريده، بل طلب من لامب أن يفعل ذلك. عرض لامب ١٠,٠٠٠ دولار مقابل جميع الأسرى الأمريكيان، فرفض الداى وأمره بتقديم ٥٠,٠٠٠ دولار. حاول المفاوض أن يقلل هذا المبلغ، لكنه لم ينجح. قام قنصل بريطانيا في الجزائر بالعمل ضد مساعي لامب بأن أوعز للداى بأن الولايات المتحدة قادرة على دفع المبلغ الذي طلبه. ^(١٨) وتحولت مساعي لامب إلى محط سخرية للقناصل الأوربيين، حيث عمل البريطانيون مع مجموعة من الدول الأوربية ضد الجهود الأمريكية، ففشلت

المهمة، وغادر لامب الجزائر عاجزاً عن حل المشكلة. وكان ثمة تعارض بين مصالح الولايات المتحدة والمصالح التجارية للدول الأوروبية في المنطقة. فبريطانيا على خلاف مع حكومة الولايات المتحدة حول حدود الولايات في القارة الأمريكية. أما فرنسا، فكانت تجارتها نشطة وتمتلك العديد من المصانع، وتمكنت الشركة الأفريقية الفرنسية وغرفة التجارة في مرسيليا ووكلاء الحكومة الفرنسية من إحباط المساعي الأمريكية من خلال تقديم الرشاوي للعاملين مع الداوي، وذلك لاحتكار التجارة في المتوسط وطرد المنافس الأمريكي. (١٩) وعندما علم الكونغرس الأمريكي بالمبلغ الذي طلبه الداوي من لامب قرر إلغاء المحادثات وطالب مبعوثه بعدم الرجوع إلى الجزائر، ذلك أن الكونغرس كان غير قادر على جمع هذا المبلغ من المال لتحرير الأسرى. (٢٠)

بدأ الأسرى الأمريكيان يوجهون الرسائل إلى حكومتهم، فكان أولها رسالة من أوبراين تحدث فيها عن سبب فشل محاولة لامب في فك أسرهم، واقترح استراتيجية مبنية على توفير أموال مجزية للجزائر، وقدم للحكومة تقريراً استخباراتياً حول القدرات الدفاعية والهجومية للسفن الجزائرية. وألح أوبراين على الحكومة الأمريكية بالإسراع في فك أسرهم لأن جميع أفراد الطاقم يعانون من العبودية، وبيّن أيضاً أنهم قد يستطيعون التحمّل، لكن معظم أفراد الطاقم لديهم عائلات هم المعيلون الوحيدون لها، ويعانون بشكل كبير في الأسر، والحكومة الأمريكية لم تتخذ إجراءات سريعة لتحريرهم. (٢١) ساءت أحوال الأسرى خلال عام ١٧٨٧ لعدم وجود معيل لعائلاتهم في الولايات، وهذا ما زاد من حدة الضغط النفسي، أضف إلى ذلك أنه خلال الـ ٢٢ شهراً التي قضاها في الأسر مات ٢١٥ أسيراً أوروبياً، وتم اقتداء مجموعة من الأسرى الإسبان وأسرى نابولي. وهكذا تفاقمت معاناة الأمريكيان بسبب نقص العدد وعملت مجموعة منهم في سفن القراصنة تحت أعباء أكبر لسد النقص. وفي السنة ذاتها مات أحد الأسرى الأمريكيان وألمّ مرض شديد بآخر. (٢٢) شكل موت بعض الأسرى واقتداء آخرين فرصة لبعض الأسرى الأمريكيان بأن شغلوا مناصب مريحة

نسبيًا، مثل مسك الدفاتر والإشراف على بعض الأعمال، فوقع الاختيار على الأشخاص من ذوي المهارة لمسك الدفاتر وعلى المتقنين للغات عدة، وهذا ما حصل للبحار الأمريكي كاتكارت كما سنبين أدناه. (٢٣)

سبب عجز الحكومة الأمريكية وتأخرها في افتداء الأسرى في الجزائر، أو حتى الوصول إلى حل لمسألة القرصنة، نوعًا من الاستياء الشعبي، خاصة في ظل الأجواء المحمومة بالأخبار والقصص عن الجزائر التي كانت تصل إلى الولايات المتحدة تباعًا، فخلال هذه الفترة أصدر الكاتب الأمريكي بيتر ماركو Peter Marko في عام ١٧٨٧ رواية بعنوان (الjasوس الجزائري في بنسلفانيا) *The Algerian Spy in Pennsylvania*، وهي عبارة عن سلسلة من الرسائل المتخيلة التي أرسلها جاسوس الداي، واسمه محمد، من الولايات المتحدة إلى صديق له يخبره فيها عن الأوضاع في البلد. (٢٤) تدور أحداث الرواية حول محمد، الجاسوس الذي تم تكليفه من قبل الداي لاكتشاف مواطن القوة في الأمة الجديدة. تسرد الرواية أخبار ضعف الولايات المتحدة بسبب اندلاع العديد من الثورات فيها، حيث قامت ثورة شاي في ولاية ماساتشوستس، ولا يستبعد قيام ثورات أخرى من شأنها أن تضعف الولايات فلا تستطيع الدفاع عن نفسها، وعليه فمن الممكن أن تسيطر الجزائر على ولاية رود أيلند التي لديها مشكلة مع الحكومة لتتحول إلى مالطة عثمانية على سواحل أمريكا. ومن الممكن رشوة حاكم رود أيلند بالذهب وإرسال آلاف من الجنود الانكشاريين والسباهيين فيحتلون الولاية وينشئون موانئ تجارية ويأسرون سكان أمريكا. (٢٥) وفي خاتمة الرواية يتعرض محمد للخيانة من قبل أصدقائه، فيختار التحول إلى المسيحية والحرية في أمريكا. إن هذه الرواية تعكس التأثير الشعبي بالحالة الجزائرية، حيث يحاول الكاتب أن يبين مدى تفوق الحرية في أمريكا وضعف الجزائريين العثمانيين المستبدين. وفي الوقت نفسه، واظبت العديد من الصحف الأمريكية على إيراد تقارير مفادها أن السفن الجزائرية وصلت إلى جزر بربيدوس وبانتت قريبة من أمريكا وأن السلطات الأمريكية تمكنت من القبض

على مجموعة من الجزائريين المتسللين إلى الولايات، والذين حاولوا طعن المواطنين. (٢٦) لم تكن هذه الأخبار حقيقية طبعًا، إنما تُعبر عن الشعور العام للمجتمع، وربما أوردتها الصحف لتحقيق المبيعات. ففي هذه الفترة نشرت بعض الصحف كتابات وروايات قصيرة متعلقة بالجزائر ومستوحاة من الأخبار الحقيقية التي كانت تصلها عن طريق رسائل الأسرى. ولم تكن الصحف وحدها واقعة تحت هذا القدر من التضليل، فقد طال الأمر مجموعة من المواطنين كذلك.

وخلال هذه الفترة شهد المجتمع الأمريكي قضية نصب واحتيال عرفت باسم "Algerian prisoner fraud" (الاحتيال المتعلق بأسرى الجزائر). بدأت القضية في ولاية فيلادلفيا عندما قام بحار يدعى جيمس جوشوا رينولدز James Joshua Reynolds مع مجموعة من زملائه بالتواصل مع عائلات بعض البحارة المفقودين في المتوسط. أبلغ رينولدز عائلات المفقودين بأنه قد شاهد أبناءهم أسرى في الجزائر، وهكذا بدأ يجمع الأموال منهم. شككت بعض العائلات بمعلومات رينولدز ووجهت رسائل إلى الرئيس جورج واشنطن مستفسرة عن مدى صحتها. وبعد التحقيق في المسألة تبين أن رينولدز وأصحابه محتالون يحاولون استغلال عواطف هذه العائلات لكسب المال. نشرت الصحف الأمريكية قصة قضية الاحتيال وحذرت الشعب من الوقوع في فخ هذا النوع من الابتزاز. (٢٧) كان العديد من أهالي البحارة ينشدون بارقة أمل يتمسكون بها، خاصة مع وصول أخبار تردي الأوضاع في المتوسط وانتشار وباء الطاعون.

وشهدت سنة ١٧٨٧ أحداثًا مؤلمة في الجزائر، إذ اجتاحت الطاعون منطقة شمال أفريقيا وقضى على ٢٠،٠٠٠ من الجزائريين. وبسبب ضعف الخدمات الطبية لدى الأسرى المسيحيين انتشر الوباء بينهم وأودى بحياة ما يقارب ٣٧٥ سجينًا. أرسل أوبراين العديد من الرسائل إلى الحكومة الأمريكية ينشد فيها الإسراع في إطلاق سراحهم، لكن ٦ من الأسرى الأمريكان كانوا قد

قضوا نحبهم للأسف. (٢٨) في ظل ظروف انتشار الطاعون سارعت مجموعة من الدبلوماسيين الأمريكيين العاملين في أوروبا إلى التواصل مع المنظمة الفرنسية المسيحية الكاثوليكية ماثورنز Mathurins لتتوسط في مسألة إخراج أسراهم، فهذه المنظمة كانت تعمل مع الأسرى الأوروبيين منذ عقود في منطقة شمال أفريقيا ولها علاقات قوية في الجزائر، وتمكنت من افتداء العديد من الأسرى الأوروبيين. على إثر هذا، بعث الدبلوماسيون الأمريكيين رسائل إلى الكونغرس للموافقة على مقترح توسط المنظمة ماثورنز على أن يتم رصد ميزانية خاصة لها تمكنها من افتداء الأسرى. وبعد مداولة الكونغرس للموضوع، تمت الموافقة ورُصدت ميزانية خاصة. طلبت الولايات المتحدة من المنظمة أن تبقى الاتفاق سراً وأن تعمل على إخراج الأسرى الأمريكيين مع بقية الأسرى المسيحيين، فالولايات كانت تخشى أنه في حال معرفة الجزائر بتدخلها في الأمر فربما ترفع قيمة المبلغ أو ترفض. وبعد أن تم رصد المبلغ دب خلاف آخر بين الدبلوماسيين؛ لأن الميزانية التي رُصدت للمنظمة ماثورنز كانت جزءاً من ميزانية المخصصات الدورية التي تقدمها الولايات للأسرى في الجزائر عن طريق بعض الدبلوماسيين، وهذا يعني توقف دفع الأموال للأسرى مؤقتاً إلى أن يتسنى للمنظمة ماثورنز استلام جميع الأموال والدخول في مفاوضات مع الداي. وبدأ بعض الدبلوماسيين يقولون: إن توقف المخصصات لهؤلاء الأسرى سيزيد من معاناتهم. ورأى آخرون أن توقفها قد يوحي بأن الولايات المتحدة تقف خلف مساعي المنظمة وبهذا تنكشف الخطة. إن سبب هذا الخطأ هو قرار الكونغرس الذي رصد بموجبه ميزانية مخصصات الأسرى مع ميزانية الأموال الخاصة بالافتداء، والتي ستقدم للمنظمة ماثورنز. بدأت ماثورنز بالتفاوض مع الداي، واستغرق الأمر فترة طويلة قاربت السنتين حتى ١٧٨٩. في هذه الأثناء حصل أمران مهمان، أولهما وقوع أعمال شغب في فرنسا، نقصد أحداث ما قبل الثورة الفرنسية، مما أثر على عمل المنظمة ماثورنز. والأمر الثاني هو قيام الولايات المتحدة بإقرار دستور جديد يتضمن قوانين وأنظمة جديدة. ففي السنة

نفسها وصلت رسالة من أوبراين يطالب فيها الحكومة بتنظيم حملة لجمع التبرعات لصالح الأسرى في الجزائر أسوة بما فعلته في السابق مع أسرى أميركان في أماكن أخرى. أقلق هذا الطلب الرئيس الأمريكي؛ لأنه مطابق لقوانين الحكومة، لكن لم يكن بمقدوره الإفصاح عنه خشية أن تتأثر مساعي المنظمة الفرنسية ماثورنرز. فكان ثمة تخوف من أنه في حال تمكن الأميركيان من جمع المال وتقديمه للجزائر لفك الأسرى، فإن جميع سفنهم قد تتعرض لخطر أكبر؛ لأن أميركا ستظهر قادرة على دفع مبالغ كبيرة لفك أسراها بينما سفنها غير محصنة لعدم وجود معاهدة مع الجزائر. (٢٩) اضطرت منظمة ماثورنرز للحد من تمثيلها في الجزائر بسبب أحداث الثورة الفرنسية وضغوط الدولة، فانعكس هذا على مساعيها. ومن جانب آخر، تحركت مجموعة من الناشطين الاجتماعيين العاملين ضد العبودية في الولايات، فخطبوا منظمة دينية فرنسية أخرى اسمها (ميرسي) Marcy كان نشاطها ذا طابع إنساني، وطلبوا منها التوسط للأسرى الأميركيان في الجزائر، لكنها فشلت. (٣٠) وفي نهاية المطاف حاولت ماثورنرز إقناع الداوي الجزائري بأن قدمت له عرضاً مغرياً، إلا أنه رفض وطلب مبلغاً كبيراً جداً لقاء تحرير الأسرى الأميركيين. (٣١) ازداد الاستياء الشعبي نتيجة هذا التصرف من طرف الحكومة، وبدأ الرأي العام ينظر إليها على أنها غير متحمسة أو جادة في تحرير الأسرى، وطالبها بعض الساسة بتقديم تقرير عن سبب عرقلة مساعي تحرير الأسرى.

استمر الأسرى في توجيه العديد من الرسائل إلى الكونغرس الأمريكي وحكومات ولاياتهم ناشدين يد العون ومنتسائلين حول مصيرهم وطول فترة مكوثهم في العبودية. ومن بين هذه الرسائل واحدة بعثها القبطان ستيفنز قائد السفينة ماري يقول فيها: "إلى متى سيظل الكونغرس الأمريكي أصم؟ ... يمكن افتدائونا جميعاً من أرباح سفينة تبغ واحدة أو من خلال تنظيم حملة تبرعات صغيرة تساهم بها كل ولاية". وفي الواقع، كان يمكن تحقيق كلام ستيفنز لولا وجود عوائق دبلوماسية عدة، أهمها رغبة الجزائر في توقيع معاهدة مع الولايات

تجبرها فيها على دفع أموال سنوية. فالجزائر لا تريد من الولايات افتداء أسراها فقط لتغيب بعد ذلك عن المشهد في المتوسط. وفي المقابل، كانت الولايات تعتقد بأن إطلاق سراح الأسرى من غير توقيع معاهدة سلام سيشكل خطراً أكبر على سلامة السفن الأمريكية.^(٣٢) في هذه الأثناء تمكن اثنان من الأسرى الأمريكيان، وهما شارلز كولفن وجون روبرتسون، من التواصل مع عائلاتهم التي تواصلت بدورها مع القنصل البريطاني ونجحوا في جمع الأموال واقتنائهما. ولم يكن هذا ليحصل لولا تدخل القنصل البريطاني السيد شارلز لوقي الذي كان على علاقة مع هذه العائلات، فتم دفع ما يقارب ٣٠٠ جنيه استرليني وأطلق سراح الأسيرين عام ١٧٩٠. أما بقية الأسرى فظلوا في الجزائر يواجهون مصيرهم المجهول^(٣٣).

بعد فترة قصيرة من إطلاق سراح الأسيرين، وجّهت مجموعة أخرى من الأسرى الأمريكيان رسالة إلى حكومتهم يتساءلون فيها عن مصيرهم ويستعلمون عن أسباب تأخر لامب وفشل المفاوضات التي قادها. لم يكن هؤلاء الأسرى على دراية بما دار بين أوبراين والحكومة الأمريكية لانفصالهم عنه وعدم معرفتهم بالمراسلات بينهما، والتي كان يشرح فيها الأوضاع الداخلية. وفي الوقت نفسه، كانت الحكومة الأمريكية تراسله وتطلعه على آخر المستجدات في العلاقات. ونتيجة المعاناة الكبيرة التي تكبدها الأسرى الأمريكيان، ولا سيما البحارة، فقدّ أحدهم صوابه، يدعى جيمس هورمت، فوُضع في زنزانة منفردة. حاول الأسرى أن يبينوا للحكومة الأمريكية معاناتهم وتعبهم والأمراض التي يواجهونها ومدى إخلاصهم لبلدهم ودينهم ورغبتهم في الخلاص من الأسر بأسرع وقت ممكن.^(٣٤) بلغت فترة الأسر ٦ سنوات لم تحرك فيها حكومة الولايات ساكناً، فضاقت الأسرى ذرعاً، وقامت مجموعة منهم بإرسال عرائض للصحف يتوسلون فيها الشعب الأمريكي النظر في قضيتهم والعمل على إطلاق سراحهم أو التدخل بأي شكل كان لإنهاء مأساتهم. احتوت هذه العرائض التي نُشرت في الصحف الأمريكية على بعض صور المعاناة والمراحل التي

مروا بها والطريقة غير المهنية التي استخدمتها الحكومة الأمريكية لإطلاق سراحهم. وقد أظهرت أيضًا تخاذل الحكومة وعجزها عن اتخاذ إجراء حاسم بشأن قضيتهم. كما حملت أسماء البحارة والمبالغ التي كان يفترض دفعها للجزائر. (٣٥)

وضع جديد وأسرى جدد وامتعاض شعبي وحالة جزائرية

شهدت الفترة الممتدة بين عامي ١٧٩٢ و ١٧٩٣ أحداثًا جيدة لبعض الأسرى الأمريكيين وأخرى مأساوية. ففي أواخر عام ١٧٩٣ تم إطلاق سراح الأسير فيليب سالون الذي كان يعمل عبدًا في القصر. وارتببت ظروف تحريره بوباء الطاعون. لقد تناقصت أعداد العبيد بسبب الظروف التي مرت بها الجزائر، وبموجبه ترقى فيليب إلى منصب رئيس العبيد في القصر، فالعرف المتبع في الجزائر كان يحتم على الدولة التي افتدت أسراها أن تفندي رئيس العبيد في القصر. وهكذا عندما قامت هولندا بافتداء جميع أسراها توجب عليها دفع مبلغ لافتداء رئيس الخدم، فتمكن فيليب من العودة إلى الولايات المتحدة. (٣٦) وفي السنة نفسها تمت ترقية الأسير الأمريكي كاتشارت لمنصب مدير ديوان الداوي، وهو من أعلى المناصب التي كان من الممكن أن يشغلها العبيد المسيحيون في الجزائر. (٣٧) خُفَّت أخبار إطلاق سراح فيليب ووصول كاتشارت إلى مرتبة عالية أصداء جيدة نسبيًا لأن عدد الأسرى قلَّ فعليًا وصار كاتشارت قريبًا من الداوي وبمقدوره خدمة المصالح الدبلوماسية للولايات، لكن الأمور ما لبثت أن ازدادت سوءًا. ففي عام ١٧٩٣ أغار القراصنة الجزائريون على ١٠ سفن تابعة للولايات المتحدة وأسروا ١١٠ بحارين. (٣٨) شكل هذا الخبر صدمة للولايات المتحدة، فبعد أن كان عدد الأسرى لا يتجاوز ١٠ أشخاص، ارتفع الآن إلى ما يقارب ١٢٠. سارعت مجموعة من الدبلوماسيين الأمريكيين العاملين في المتوسط إلى التواصل مع القنصلية السويدية لتقديم الملابس والطعام ومبلغ مالي صغير للأسرى الجدد. وفي الوقت نفسه تمكن كاتشارت من التوسط لدى أحد وزراء الداوي كي يضع بعض الأسرى في أحد السجون

(البانقينو) التي تعد أفضل نسيباً من غيرها ويفرز مجموعة من البحارة صغار السن للعمل في قصر الداى، أما البقية فتحتم عليهم مواجهة مصيرهم السيء.^(٣٩) أُجبر بعض الأسرى على القيام بأعمال شاقة مرتبطة بالعبودية، فأرسلوا إلى الجبال لتقطيع الصخور وحملها إلى الميناء لإنشاء حاجز صخري يحيط بمرسى السفن لحمايتها من الأمواج.^(٤٠) وعمل آخرون على متون سفن القرصنة في مهام عدة، فيما تم تكليف البعض بتنظيف الميناء. شكل الأسرى الجدد مصدر يد عاملة جديدة، خاصة بعد موت الكثير من العبيد الأوربيين بمرض الطاعون وافتداء البعض الآخر. استطاعت حكومة الولايات المتحدة عن طريق بعض القنصليات الأوربية العاملة في الجزائر استئجار بيت خاص لقادة السفن ومساعدتهم ليكون ملاذاً ومسكناً خاصاً بهم، أما بقية الأسرى فقد بقوا في السجن. في الواقع، كان من المفترض أن يقيم هؤلاء في البيت نفسه كيلا تنتشر عدوى الطاعون بينهم، لكن هذا لم يحصل.^(٤١) وهكذا مات أربعة منهم خلال فترة قصيرة.^(٤٢) وفي عام ١٧٩٣ وجه أوبراين رسالة إلى الصحيفة الأمريكية فيرمونت Vermont يتوسل فيها الشعب الأمريكي العمل على إطلاق سراحهم والنظر في قضيتهم، ويخبرهم عن فشل المساعي الحكومية في حل مشكلتهم ويشرح معاناتهم من الطاعون، طالباً منهم الوقوف إلى جانبهم في هذه المحنة.^(٤٣) سببت أخبار أسر هذا العدد من مواطني الولايات المتحدة امتعاضاً كبيراً في الأوساط الشعبية، ولا سيما بين سكان المدن الساحلية، فالعديد من أبناء عائلاتهم كانوا يعملون على متون هذه السفن التي تعود ملكية العديد منها إلى تجار هذه المناطق. لذا تحركت الأوساط الشعبية وبدأت بحملات لجمع التبرعات لصالح الأسرى ومارست ضغوطاً كبيرة على الحكومة مناشدة إياها بحل قضية أبنائهم. وفي مدينة بولتيمور نشطت الجمعية الجمهورية Republican Society بتنظيم تجمع للأهالي وقراءة رسائل الأسرى، وشكلت لجنة خاصة لمتابعة الأمر مع الحكومة. ونظم أهالي مدينة نيويورك بورت في ولاية ماساتشوستس حملة للتوقيع على عريضة رفعت للكونغرس وأخرى لجمع

الأموال. وتشكلت في فيلادلفيا، عاصمة الولايات المتحدة آنذاك، لجان من التجار والمواطنين طالبت الحكومة بحل مسألة الأسرى وقدمت عروضاً مسرحية لهذا الغرض، وتمكنت من جمع ١،٢٣٠ دولار. وفي نيويورك قام اتحاد صناع الأشرطة وجمعية الموانئ بالتبرع للأسرى. وأعلنت جمعية مراسي نيويورك New York Marine Society في صحيفة فيلادلفيا عن تخصيصها ربع مبيعات الخمر لسداد تكاليف افتداء الأسرى الأمريكيين في الجزائر. (٤٤)

وفي عام ١٧٩٤ نظم سكان فيلادلفيا عروضاً مسرحية وجمعوا في ليلة واحدة ٨٤١ دولاراً قدموها للحكومة، فيما جمعت دار شارلسون للعروض المسرحية ٢٠٠،٥٦ باوند ذهبت للغرض نفسه. (٤٥) وساهم بعض رجال الدين في تحفيز الناس على المشاركة والتحرك لصالح الأسرى من خلال توضيح حجم المعاناة التي كانوا يواجهونها. (٤٦)

تحركت العديد من الكنائس الأمريكية في مدن وولايات عدة، فنظمت حملات لجمع التبرعات وعروضاً مسرحية خُصص ربعها لقضية الأسرى. استطاعت العروض المسرحية جمع ٨٨٧،٢٨ دولار أمريكياً قُدمت للحكومة. وشاركت أيضاً بعض الولايات الجنوبية -التي لم يتأثر مواطنوها بالقضية- مثل ولاية جورجيا، إذ أعلن مجلسها المحلي أن جزءاً من الدخل المالي سوف يخصص لقضية الأسرى في الجزائر. وكذلك الحال مع ولاية جنوب كارولينا، حيث عُقدت تجمعات ولقاءات شعبية تدعو الحكومة إلى الإسراع في إطلاق سراحهم. وقُدمت عروض مسرحية خيرية في مدينة شارلستون كانت حصيلتها ١،٢٥٠ دولار لصالح الأسرى. (٤٧) تناولت بعض هذه المسرحيات الخيرية المجتمع الجزائري بشكل أو آخر، وعكست الحالة الجزائرية التي كان يعيشها الشعب في الولايات. وفي عام ١٧٩٤ أصدرت الكاتبة سوزانا روسن مسرحية عنوانها (عبيد في الجزائر) Slaves in Algiers تتحدث عن أسيرة أمريكية وابنتها التي ولدت في الأسر وعملت لدى الداوي الجزائري. وتبين المسرحية طبيعة علاقة الأسيرة الأمريكية المدعوة ريكا Rebecca بسيدها حسن. ففي

حوار دار بينهما وضحت ربيكا لسيدها حسن حب الأميركيان للحرية وغياب هذا المفهوم في الجزائر. ^(٤٨) ولهذه المسرحية طابع كوميدي ساخر، حيث وظفت الكاتبة الأوضاع في الجزائر للنقد وتسليط الضوء على القضايا السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية. ^(٤٩)

وفي أواخر عام ١٧٩٤ بدأت الولايات المتحدة تتواصل مع الداوي الجزائري عن طريق القنصلية السويدية، فتبين للطرفين أنهما مستعدان لعقد هدنة. قدم الداوي الجزائري مطالبه للولايات المتحدة بعد أن طلب من الأسير الأمريكي كاثكارت إعدادها. ويبدو أن الداوي كان قد عينه رئيساً للديوان في تلك الفترة لما تمتع به من مؤهلات خولته القيام بهذا المنصب. فقد كان يجيد أكثر من لغة أجنبية، وتمكن من تعلم التركية والعربية، وكان قادراً على الكتابة ومتمرساً في مسك دفاتر الحسابات. وهكذا أصبح كاثكارت المشرف الأول على عملية الهدنة التي سوف تعقد بين الداوي والولايات المتحدة. فقام بكتابة مطالب الداوي باللغة الإنجليزية ليتم تقديمها للحكومة الأمريكية عبر السفارة السويدية، وتضمنت سفينتين ومبلغاً مالياً كبيراً. ^(٥٠) حاول كاثكارت أن يقنع الداوي بأن المطالب كبيرة جداً وبأن الولايات المتحدة غير قادرة على تسديد المبالغ لأنها تفوق ميزانيتها. ونصحه بتقديم عرض مقارب لعرض هولندا الذي استطاعت من خلاله افتداء أسراها في الجزائر. ^(٥١) وفي هذه الأثناء بدأ الأسير أوبراين يعمل وسيطاً بين الولايات المتحدة والجزائر بشكل غير مباشر، فراح يرسل التقارير لبلده حول آخر المستجدات في الساحة الأوربية والجزائرية وحول الطريقة الأنسب للتعامل مع الداوي والقناصل الأوربيين المنافسين في الجزائر. وفي عام ١٧٩٥ أرسلت الولايات المتحدة الأسير السابق فيليب سالون ودبلوماسياً يدعى دونلدسون للتفاوض مع الداوي. قدّم الداوي عرضه للولايات المتحدة، لكنه لم يعجب المفاوضين الأمريكيين، فتدخل كاثكارت لدى الداوي وحاول إقناعه بتقليل الأموال المطلوبة. وعمل أيضاً على تهدئة العلاقات بين الطرفين، ذلك أن المفاوضات دونلدسون كان مستاء من ارتفاع المبالغ، فيما كان

الداي غاضباً من تعنت الأميركيان. ^(٥٢) تضمنت مطالب الداى سفينتين حربيتين، و ١,٠٨٠,٠٠٠ دولار، وهدايا بقيمة ٥٤٠,٠٠٠ دولار، ومبلغاً خاصاً لأسرته قدره ١٥٨,٠٠٠ دولار، وفدية الأسرى ٣٥٤,٠٠٠ دولار، ومبالغ لموظفي الدولة بقيمة ١١٥٥,٠٠٠ دولار، ليصل المجموع الكلي إلى ٢٢٤٧,٠٠٠ دولار، علاوة على مبلغ سنوي قدره ١٢,٠٠٠ دولار. ^(٥٣) عرض المفاوض الأمريكي تقديم ٥٤٣,٠٠٠ دولار، لكن الداى رفض وطلب منه مغادرة الجزائر مع زميله. وكان المفاوض الأمريكي يتهم كاتكارت بالتواطؤ مع الداى؛ لأنه يعمل لديه ويدون مطالب الجزائر. وفي المقابل، راح الداى يتهم كاتكارت بالكذب والعمل لمصلحته الشخصية؛ لأنه لا يريد لهذه الهدنة مع الولايات المتحدة أن تتم. ^(٥٤) كانت فترة المفاوضات من أصعب اللحظات بالنسبة لكاتكارت وبقيّة الأسرى الأميركيان لأنهم كانوا يخشون أنه في حال رفض العرض الأمريكي فإنهم قد يمكثون لمدة أطول، خاصة أن مدة إقامة الدفعة الأولى من أقرانهم بلغت ١٠ سنوات والثانية سنتين. وبعد محاولات عدة، وبفضل جهود كاتكارت، توصل الداى الجزائري والمفاوضون الأميركيان إلى اتفاق يقضي بأن تتعهد الولايات المتحدة بدفع ٦٤٢,٠٠٠ دولار ومبلغ سنوي قدره ١٢,٠٠٠ دولار على أن يطلق الداى سراح الأسرى ويوقع معاهدة سلام ووثام تنص على عدم تعرض قراصنة الجزائر لسفن الولايات المتحدة الأمريكية. ^(٥٥)

عودة الأسرى وتبعاتها

في ٥ سبتمبر لعام ١٧٩٥ كُتبت المعاهدة بين الطرفين باسم "معاهدة السلام والوثام" وتضمنت ٢٢ بنداً نظمت العلاقات التجارية والدبلوماسية بينهما. ^(٥٦) وما إن توصلنا إلى الاتفاق، طلب المفاوض الأمريكي من الداى إطلاق سراح الأسرى بأسرع وقت ممكن، فرفض وأصر على أنه لن يفعل ذلك حتى تصل المبالغ المالية المتفق عليها. وطلب أيضاً من كاتكارت أن يبلغ الأسرى الأميركيان بالتوقف عن العمل في الميناء والأعمال المتعلقة بالعبودية

مهددًا بإعادتهم إلى السجن فيما لو تسببوا بأي نوع من المشاكل أو الشجارات. وأضاف الداى أنه إذا كان بين الأسرى شخص اعتنق الإسلام ولا يريد المغادرة فيجب عدم إرغامه على العودة إلى دينه أو أخذه معهم. ومن الأمور الغريبة أن المفاوض الأمريكي طلب من الداى إبقاء الأسرى في السجون المخصصة لهم إلى حين إرسالهم إلى الولايات المتحدة. غضب الأسرى من هذا التصرف وتجمعوا حول المسكن الذي أقام فيه المفاوض رافضين المغادرة. فقام باستدعاء الجنود الجزائريين ليرغموهم على العودة إلى سجنهم وأماكن إقامتهم. وهكذا ظلوا في السجون مع تأخر وصول الأموال للداى ليعودوا إلى الأعمال الشاقة مجددًا. تأخرت الولايات المتحدة في جمع المال المطلوب، وتوفي ثلاثة من الأسرى في مطلع عام ١٧٩٦. وفي ١٢ يوليو لعام ١٧٩٦، وبعد وصول بعض المبالغ المالية للداى، استعد الأسرى لمغادرة الجزائر على ظهر سفينة أُسْتُجِرَتْ لنقلهم. وفي هذه الأثناء تدهورت صحة عدد كبير منهم وأصيب البعض بالإرهاك بسبب طول فترة الأسر وسوء الأحوال في الجزائر. وعندما كانت السفينة على وشك مغادرة ميناء الجزائر انتشر الطاعون بين المسافرين، فاضطر قائدها أن يترك مجموعة من الأمريكيان في الجزائر. وخلال الرحلة توفي القائد في عرض البحر، فرست السفينة في فرنسا ووضعت تحت الحجر الصحي لمدة ٨ أيام. وبعد رفع الحجر تدخلت القنصلية الأمريكية في فرنسا وقدمت للناجين الأمريكيان الأموال والملابس لتتابع السفينة إبحارها إلى الولايات المتحدة. وخلال فترة إقامة السفينة في فرنسا غادرها بعض الأمريكيان ليعملوا على متن إحدى السفن المبحرة في المتوسط. أما البقية، وكان عددهم ٦٥ شخصًا، فأكملوا الرحلة التي استغرقت ٣ أشهر. وفي عام ١٧٩٧ نزل الأمريكيان المحررون على شواطئ وطنهم. وكان في استقبالهم العديد من الأهالي، حيث نقلوهم بالعربات إلى العاصمة فيلادلفيا ليتم استقبالهم في إحدى حانات المدينة. كانت الشوارع مكتظة بالمستقبلين، فاستُضيف بعضهم من قبل الأهل أو الأصدقاء، فيما ظل آخرون من دون استضافة يجوبون الشوارع بعد رحيل الناس. (٥٧)

وفيما يتعلق بأوبراين، فقد عُيِّن مسؤولاً عن العلاقات الأمريكية في منطقة شمال أفريقيا وقنصلاً للولايات في الجزائر. وعُيِّن كاثكارت قنصلاً في طرابلس. (٥٨)

خلقت محنة الأسر اهتماماً شعبياً بمنطقة شمال أفريقيا بشكل عام وبالجزائر بشكل خاص. فالعديد من الصحف الأمريكية واطبت على نقل رسائل أسرى الجزائر وأخبارهم طيلة عشر سنوات. (٥٩) وهكذا شهدت الساحة الثقافية الأمريكية في عام ١٧٩٧ أعمالاً أدبية ومسرحية وعروض باليه متعلقة بالأسرى الأمريكان. ومن العروض التي جرى تقديمها في عام ١٧٩٧ واحدٌ عنوانه The Dutch Wake Or, The Sailor's Return from Algiers. وهو عرض كوميدي ساخر قُدِّم في العاصمة فيلادلفيا. (٦١) وبدأ بعض الأسرى، مثل جيمس ويلسون ستينفنز وجون فس، بنشر مذكراتهم التي احتفظوا بها خلال فترة الأسر أو كتبوها عند عودتهم، فلاقت رواجاً في المجتمع على إثر نشرها في عام ١٧٩٧ عقب عودتهم. تضمنت هذه المذكرات العديد من مشاهد الأسر، لكن المثير للاهتمام فيها هو أنها انطوت على نقد للعبودية الأمريكية من خلال تجرّبه الأمريكان في الجزائر. (٦٢) وفي هذه الأجواء، تحديداً في عام ١٧٩٧، أصدر الكاتب الأمريكي رويال تايلر Royall Tylor رواية عنوانها (حبّيس الجزائر) The Algerian Captive، تدور حول شاب أمريكي درس الطب وجاب أرجاء الولايات المتحدة يعالج الناس. وفي عام ١٧٨٨ عمل الشاب طبيباً جراحاً على متن إحدى السفن الأمريكية التي كانت تنقل العبيد من أفريقيا إلى الولايات المتحدة. (٦٣) وخلال الرحلة يصف الطبيب الشاب حالة العبيد الأفارقة المزرية والبائسة على ظهر السفينة. وفي أثناء العودة وقعت السفينة في قبضة القراصنة الجزائريين وتحول الطبيب إلى عبد. (٦٤) حاول الكاتب من خلال هذه الرواية أن يسلط الضوء على التناقض الذي كانت تعيشه الولايات المتحدة بوصفها دولة الحريات من جهة وتستعبد الأفارقة من جهة أخرى. وفي هذا السياق، صدرت في عام ١٨٠١ رواية بعنوان (إنسانية في الجزائر أو قصة عازم) بقلم شخص مجهول استخدم للتعريف عن نفسه اسم (أمريكي ومن

ثم عبد في الجزائر) *Humanity in Algiers: or the Story of Azem* by American Later Slave in Algiers. تدور أحداث الرواية في عام ١٧٨٥ حول بحار أمريكي أبحر مع سفن بلده المتجهة إلى شمال أفريقيا ثم وقع في أسر قرصنة الجزائر وبيع عبدًا في السوق ويشتريه أحد ملاك المزارع الجزائريين.^(١٥) وفي أثناء عمله لدى سيده الجزائري يتذكر البحار العبيد الأفارقة الذين عملوا لدى والده في الولايات المتحدة وطريقة معاملته لهم. ثم يسترسل في سرد قصته خلال فترة عبوديته في الجزائر ويقص حكاية تحريره. قدم البحار العبد يد المساعدة لرجل جزائري، فاشتراه بشكل مفاجئ وأعتقه.^(١٦) تعجب الأمريكي من هذا الفعل الغريب وبدأ يسأل الرجل عن السبب الذي دفعه لهذا السلوك الإنساني، فأجابه بأن شخصًا اسمه عازم كان عبدًا، لكنه استطاع أن يتحرر من العبودية وقرر أن يعمل على عتق العبيد. توفي عازم تاركًا مبلغًا من المال بلا وريث، فقرر أصحابه استخدام المال لعتق العبيد الصالحين. وخلال الرواية يروي البحار الأمريكي قصة عازم ونجاحه في تحرير نفسه ويتخذ قرارًا بالعمل على فك رقاب العبيد. ويحاول الكاتب في هذه الرواية انتقاد ظاهرة العبودية التي كانت سائدة في المجتمع الأمريكي خلال القرن التاسع عشر. فهو ينطلق من مفاهيم دينية ويحاول إقناع القارئ الأمريكي بالعمل على تحرير العبيد في الولايات المتحدة الأمريكية. إن رواية (إنسانية في الجزائر) توضح للقارئ الأمريكي التفوق الإسلامي بخصوص معاملة العبيد من جهة، وتظهر تدني القيم الأمريكية المسيحية التي يتبناها البيض من جهة أخرى. لقد لاقت الرواية أصداء متواضعة وانتشرت في ولايات محدودة، هي نيويورك وماساتشوستس وفيرمونت، وجميعها تقع في الشمال الشرقي وغالبية سكانها من البيض. المهم في الأمر هو أن هذه الرواية انتشرت في الولايات الثلاث وذاع صيتها بين المطالبيين بتحرير العبيد.^(١٧) لا تهدف رواية (إنسانية في الجزائر) إلى الإضاءة على إنسانية الجزائريين بقدر ما تحاول أن تنتقد لا إنسانية الولايات المتحدة الأمريكية، فالجزائريين الذين أسروا العديد من مواطني الولايات المتحدة

لم يقتربوا جرماً جديداً، لكن الأمريكيان ظلوا يطبقون الوحشية ذاتها. (٦٨) وفي المقابل، تم استخدام الحالة الجزائرية لتسليط الضوء على التفوق الأمريكي، وهو ليس بالأمر الغريب، فراحت العديد من الصحف تصور الجزائر بوصفها غير إنسانية. ومن الأعمال التي ذاع صيتها واشتهرت لما يقارب العقد رواية معاناة السيدة ماري، والتي نشرت بين عامي ١٨٠٠ و ١٨٢٨ ليعاد طبعها عشرات المرات في السوق الأمريكي. (٦٩) وعنوان هذه الرواية (تاريخ أسر ومعاناة السيدة ماري مارتن: التي قضت ست سنوات تحت العبودية في الجزائر، والتي ظلت سنتين في زنزانة مظلمة مكبله بالحديد معترضة على قسوة الضابط التركي) *History of the Captivity and Suffering of Mrs. Maria Martin: Who was six years a Slave in Algiers, Two of Which She was Confined in Dark and Dismal Dungeon, Loaded with Iron for Refusing to Comply with the Brutal Request of a Turkish Officer.* كتبت الرواية على هيئة مجموعة مذكرات لسيدة إنجليزية اسمها ماري مارتن أبحرت مع زوجها القبطان هنري مارتن في عام ١٨٠٠ متجهة إلى البحر الأبيض المتوسط. وخلال الرحلة تعرضا لهجوم قراصنة شمال أفريقيا في منطقة بين تونس والجزائر. (٧٠) تتحدث ماري عن طريقة أسرها وبيعها في السوق لأحد الأتراك، وتصف حال العبيد وطباع المسلمين السيئة والمعاملة القاسية التي تعرض لها المسيحيون، فنقول: "إن محمداً علمهم القرآن الذي ينص على أن من يلقي حتفه في قتال المسيحيين يدخل الجنة". (٧١) تركز ماري في مذكراتها على طبيعة علاقتها مع سيدها الذي أحبها وأراد منها أن تهبه نفسها، لكنها رفضت على الرغم من المحاولات الكثيرة، فعوقبت بأن وُضعت في زنزانة موحشة مكبله بالحديد. (٧٢) تصف ماري يومياتها في الزنزانة وثباتها في مواجهة القسوة وصعوبة الموقف، كما تصور صمودها ضد الاغراءات الكثيرة والمتكررة. وفي نهاية الأمر يتدخل القنصل البريطاني ويطلق سراحها. (٧٣) لقد لاقى هذا الصنف من الروايات رواجاً في تلك الفترة.

الخاتمة

في أواخر القرن الثامن عشر واجهت الولايات المتحدة الأمريكية أزمة سياسية واجتماعية تمثلت في وقوع مجموعة من مواطنيها في قبضة القراصنة الجزائريين الذين استخدموهم عبيدًا وطالبوا بأموال لفك أسرهم. تمكن القراصنة الجزائريون في عام ١٧٨٥ من أسر أول دفعة من الأمريكان حين أغاروا على سفينتين ليلبغ عدد الأسرى ١٢ شخصًا، وتكرر الأمر ثانية عام ١٧٩٣ عندما ألقى الجزائريون القبض على ١٠ سفن أخرى و ١١٠ أسرى. رزح بعض الأمريكان مدة ١٠ سنوات في الأسر، فيما أمضى آخرون مدة ٣ سنوات. شكلت محنة الأسر تحديات عدة على الصعيد الشخصي للأسرى والشعبي لمواطني الولايات. حاول الأسرى بشتى الطرق التعايش مع واقع العبودية في الجزائر بما فيه من قسوة وصعوبة. ففي البداية فصلوا أنفسهم عن بقية الأسرى الأوربيين وتواصلوا مع حكومتهم لإخراجهم. وبينوا للجزائريين في فترة الأسر أنهم مختلفون عن الأوربيين ولا علاقة لهم بالخلاف الكاثوليكي الإسلامي في منطقة المتوسط. وتقادوا أيضًا جميع أنواع النقاشات حول الدين، والتي كان من شأنها أن تسبب لهم المشاكل. وفي الوقت نفسه راح بعضهم يبرز مهاراته وقدراته، فنجحوا في تبوء مناصب عالية في قصر الداى. ومن الأمور المهمة التي أدركها الأسرى الأمريكان هو أن العبودية في الجزائر كانت مختلفة تمامًا عن واقع العبودية في الولايات المتحدة. فالأسير في الجزائر كان يحق له ممارسة طقوسه وعاداته وجمع المال. والأمريكان في الجزائر كانوا بمثابة أسرى ينتظرون افتدائهم ويمارسون أعمالًا مرتبطة بالعبودية، ويطلق عليهم لقب العبيد المسيحيين. شكلت هذه الصورة المختلفة عن العبودية، ولا سيما بعد عودة الأسرى إلى وطنهم، أداة استطاعوا من خلالها انتقاد العبودية الأمريكية والمجتمع الأمريكي. وفي المقابل، شكلت محنة الأسرى تحديًا على المستويين الشعبي والرسمي. فعجز الحكومة الأمريكية عن إخراجهم أدى إلى تدخل شعبي

واسع. لقد بدأت العديد من الصحف الأمريكية بنقل رسائل الأسرى وعرائضهم التي ناشدوا من خلالها المجتمع للتدخل وإيجاد حل لقضيتهم. حفزت هذه المناشآت المواطنين على تنظيم حملات لجمع التبرعات وعروض مسرحية وتجمعات انتشرت في العديد من الولايات الأمريكية خالقة حالة جزائرية في المجتمع الأمريكي. انعكست هذه الحالة على النتاج الثقافي والصحفي، فتناولت العديد من العروض المسرحية الجزائر أو الدين الاسلامي بطريقة أو أخرى، ونقلت الصحف إعلانات هذه العروض وأكثر من نشر الرسائل والأخبار المتعلقة بالجزائر والأسرى. استمرت هذه الحالة من التأثير وتطورت أكثر مع عودتهم لتشهد الساحة الثقافية نتاجاً روائياً تناول قضية الأسر والأسرى في الجزائر. إن قضية الأسرى الأمريكيان في الجزائر لم تكن سياسية أو دبلوماسية وحسب، بل قضية اجتماعية لامست الشعب الأمريكي وخلفت أثراً بارزاً في المجتمع والثقافة الأمريكيين في أواخر القرن الثامن عشر.

الهوامش:

- (1) Sears, Christine, American Slaves and African Masters Algiers and the Western Sahara 1776-1820, Palgrave, USA, 2012, P 3.
- (2) Naval Documents Related to United States Wars With the Barbary Powers Naval Operations Including Diplomatic Background From 1785 Through 1801, Vol 1, United States Government Printing Office Washington, 1939, p 1.
- (٣) كاتنكارت، مذكرات أسير الداى قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة: العربي، إسماعيل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨١، ص ١٨.
- (٤) مذكرات أسير الداى، ص ٢١.
- (٥) مذكرات أسير الداى، ص ٢١.
- (6) Sears, E., Christine, A Different Kind of Slavery: American Captives in Barbary, 1776-1830, University of Delaware PhD Dissertation, 2007, p 74.
- (7) Barnby, H.B, The Prisoners of Algiers an Account of Forgotten American-Algerian War 1785-1797, London, Oxford 1966, p 37.
- (٨) مذكرات أسير الداى، ص ٥٤.
- (٩) مذكرات أسير الداى، ص ٢٨.
- (١٠) مذكرات أسير الداى، ص ٣٠.
- (11) Naval Documents Relate to the United States War with the Barbary, To William Carmichael U.S. Charge d’Affaires In Spain, from Richard O’Brien, September 13th 1786, p 13.
- (١٢) مذكرات أسير الداى، ص ٣٠.
- (١٣) مذكرات أسير الداى، ص ٥٠.
- (١٤) مذكرات أسير الداى، ص ١١٥.
- (15) “The Prisoners of Algiers an Account of Forgotten American- Algerian War 1785-1797”, p 135.
- (16) Wilson, E., Gary, American Prisoners in the Barbary Nations, 1784-1816, North Texas State University, PhD Thesis 1979, p 41
- (17) United States of America, Pennsylvania, Philadelphia, the Freeman’s Journal or The North American Intelligencer, 23 November wed 1785, p 3. Pennsylvania, the Pennsylvania Gazette, 23 November 1785, p 3. Connecticut, Hartford, the Hartford Courant, 28 November 1785, p 2. Pennsylvania, the Pennsylvania Packet, 19 November 1785, p 3.
- (18) Naval Documents Related to United States War with the Barbary, To Thomas Jefferson U.S Minster to Paris, France, from Richard O’Braien, Algiers June 8th 1786, p 1.
- (١٩) مذكرات أسير الداى، ص ٤٠.
- (20) Wilson E. Gray : “American Hostages in Moslem Nations, 1784-1796: The Public Response”, Society for Historian of the Early American Republic, Vol2, No 2 Summer, 1982, 127.

- (21) Naval Documents Related to United States Wars with the Barbary Powers, Vol 1, To Thomas Jefferson U.S. Minister to Paris, France from Richard O'Brien, Algiers June 8th 1786.
- (22) Naval Documents Related to United States Wars with the Barbary, to who not Indicated in Manuscript Richar O'Brien April the 28th 1787, p 15.
(٢٣) مذكرات أسير الداوي، ص ١١٣.
- (24) Marko, Peter, The Algerian spy in Pennsylvania: or Letters written by a native of Algiers on the affairs of the States of America from the close of the year 1783 to the meeting of the Convention, Philadelphia, Prichard & Hall 1787, p 68.
- (25) "The Algerian Spy" p 106.
- (26) "American Prisoners in the Barbary Nations" p 51.
- (27) "American Prisoners in the Barbary Nations" p 51.
- (28) "American Prisoners in the Barbary Nations" p 53.
- (29) Lydon G., James: " Thomas Jefferson and the Mathurins", The Catholic Historical Review, Vol. 49, No. 2 Jul, 1936, P 200.
- (30) "American Prisoners in the Barbary Nations" p 53
- (31) Nvavl Documents Related to United States Wars with the Barbary, Massage of President Gorge Washington to the Congress of the United States Prisoners at Algiers, December 30 1790, p 18.
(٣٢) مذكرات أسير الداوي، ص ٤٨.
- (33) "American Prisoners in the Barbary Nations" p 64.
- (34) Naval Documents Related to United States Wars With the Barbary, Petition of Prisoners Algiers, March 29 1797 P 35.
- (35) United States of America, The Independent Gazzetter, Philadelphia, Pennsylvania 21 December 1793, p 2.
- (36) "The Prisoners of Algiers an Account of Forgotten American- Algerian War 1785-1797", p 120.
(٣٧) مذكرات أسير الداوي، ص ١٤٨.
- (38) " Naval Documents Related to the United States War with the Barbary", to Secretary of State, From James Simpson, U.S. Consul, Gibraltar, November 25th 1793, p 55.
- (39) "American Prisoners in the Barbary Nations" p 77.
- (40) Foss, John, A Journal of the Captivity and Sufferings of John Foss: Several Years a Prisoner at Algiers: together With some Account of the Treatment of Christian Slaves when sick: and Observations of Manners and Customs of the Algerians, United States, Angier March, 1800, p 24.
- (41) "A Journal of Captivity" p 126.
- (42) "A journal of Captivity" p 130.
- (43) United States of America, Vermont Rutland, the Farmer's Library or Vermont Political & Historical, 13 Jun sun 1793, p 4.
- (44) United States of America, Pennsylvania, the Philadelphia Inquirer, 29 October Wed 1797, p 1.
- (45) United States of America, Philadelphia, Pennsylvania, The Philadelphia Inquirer, 19 April 1794, p 3.

- (46) United States of America, Bennigton, Vermont, The Vermont Gazette, 20 February 1795 , p 3.
- (47) "American Prisoners in the Barbary Nations" p 83.
- (48) <https://quod.lib.umich.edu/e/evans/N21056.0001.001?rgn=main;view=fulltext> .
النص الأصلي للمسرحية ٢٠١٧-٢٩-١١
- (49) Alizabeth, Maddock Dillon: "Slave in Algiers: Race, Republican Genealogies, and the Global Stage", American Literary History: Oxford University Press, Vol 16, No3, (Autumn, 2004)pp407-436, p. 410.
- (50) "Naval Documents Related to the United State Relation With the Barbary" Presents Exacted from the United States by the Dey of Algiers, Laus Deo, 22, December, 1794, p 89
- (٥١) مذكرات أسير الداوي، ص ١٥٤ .
- (52) "American Prisoners in the Barbary Nations" p 101.
- (53) "Naval Documents Related to United States Relations With the Barbary" Presents Exacted from the United States by the Day of Algiers, Laus Deo 22 December, 1794, p 89.
- (٥٤) مذكرات أسير الداوي، ص ١٧٧ .
- (55) Irwin, Ray Watkins, The Diplomatic Relations of the United State With the Barbary Powers, 1776-1816, Chapel Hill, the University of North Carolina press, 1931 p 88.
- (56) "Naval documents Related to the United States Relations with the Barbary" Algiers Treaty 1796, p 107.
- (57) " American Prisoners in the Barbary Nations" p 115.
- (58) "Naval Documents Related to the United States War with the Brbary" Jurnal of James L. Cathcart US. Consul Tripoli, 28 February to 13 April 1799, p 323.
- (59) David, Dzurec, " A Speedy to Our Suffering Captives Brethren in Algiers": Captives, Debate and Public Opinion in The Early American Republic, Historian, Vol 71, Issue 4, Winter 2009, p 737.
- (60) United States of America, Philadelphia, Pennsylvania, The Philadelphia Inquirer, 10 February 1797, p 3.
- (61) Brooks, Matluck, Lynn, a Decade of Brilliance: Dance Theater in the Late-Eighteenth- Century Philadelphia, Dance Chronical, Vol 12, No 3, 1989, p 351.
- (62) Rajos, Elena, Matha, "Insults Unpunished" Barbary Captives, American Slaves and Negotiation of Liberty, Early American Studies: an Interdisciplinary Journal, Vol 1, No 2, Fall 2003, University of Pennsylvania press, p 167.
- (63) Tyler, Royall, The Algerian Captive or the Life and Adventures of Doctor Updike Underhill Six Years a Prisoner Among The Algerians, Hartfor, B. Gleason and CO, 1816, P 97.
- (64) " The Algerian Captive" p 110.
- (65) American, later a Salve in Algiers, Humanity in Algiers: or Story of Azem, p. 4.
- (66) American, later a Salve in Algiers, Humanity in Algiers: or Story of Azem, p. 5.
- (67) American, later a Salve in Algiers, Humanity in Algiers: or Story of Azem, p. 1.
- (68) "The Crescent Obscured" p 98.

- (٦٩) مار، تيموثي: *الجدور الثقافية للإسلاموية الأمريكية*، ترجمة: الخطيب، تحسين، مراجعة: أحمد خريس، أبوظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠١١، ص ٧٨.
- (70) Captivity and Suffering of Mrs. Maraia Martin Who Was Six Years a Slave in Algiers: Two of Which she was Confined in Dark and Dismal Dungeon, Loaded with Irons For Refusing to Comply the Brutal Request of a Turkish Officer to Which is Annexed a History of Algiers a Description of the Country, the Manners and the Customs of the Natives –Their Treatment to their Slaves-their Laws and Religion, Boston, W. Crary, 1807, P. 46.
- (71) “Captivity and Suffering”, p. 49.
- (72) “Captivity and Suffering”, p. 66.
- (73) “Captivity and Suffering”, p. 72.